فراس عزيز ديب

أيتام كارثة الزلزال بين «كفالة اليتيم» و«فزاعة التبني».. هل تقول الجمعيات الغربية كلمتها؟

نسمَع كثيراً عن تُجار الأزمات، تُجار الحروب، لكننا في سورية وبسبب شباط الأسود وما حدثٍ لأهلنا في اللاذقية وإدلب وحماة وحلب من كارثة بفعل الزلزال المدمر الذي ضربهم، بتنا ولله الحمد نسمع ولأول مرة في تاريخنا الحديث عن «تُجار الزلازل»، مع التأكيد هنا أن هذا التوصيف ليسَ موجهاً فقط لطبقة تسرح وتمرح على هواها بتقاضي ما تشاء من أسعار من دون حسيبٍ أو رقيب، ولا عن طبقة حيتانٍ تحتكر ما شاءت لها أقدار المحسوبيات من واردات، لكننَا اليومَ نتحدث عن تاجرٍ جديد لم نتعرف إليه سابقاً بهذه الصورة المباشرة، ألا وهو تلكَ الجمعيات الغربية التي بدأت تنشط في المناطق الشمالية وتركيا بحثاً عن أطفال للتبني.

تقول الحكمة الشهيرة: الفراغُ دائماً ما يحتاج إلى من يملؤه، لكن في الحروب والكوارث كتلكَ التي زارتنا في السادس من شباط الماضي، يزداد حجم هذا الفراغ إلى الحد الذي يتطلّب منا الكثيرَ من الليونة القانونية والرشاقة الفكرية لتدارك ما يمكن تداركه، لأن التباطؤ سيمنح الفرصة لغيرنا كي يكون البَديل لملء هذا الفراغ، ومن بين هذه الكوارث مسألة الأطفال الذين فقدوا عوائلهم، وبالتحديد موضوع التبني.

منذ إعلان الكارثة كانَت العين موجهة إلى الأطفال الذين فقدوا أهاليهم وعن المصيرِ الأسود الذي ينتظرهم، هنا بدأت العديد من الجمعيات الأوروبية ومن بينها جمعيات دينية تتبع لكنائسَ مستحدثة، الإعلان عن دعوات إنسانية لتبني الأطفال، الأمر لم يقتصر على ذلك، حتى بعض المشاهير العرب دعوا لتبني أطفال سوريين، واللافت أن البلدان التي ينحدر منها هؤلاء، تحتوي على أيتام ومشردين أكثر بعشرات الأضعاف مما فقدته سورية من ضحايا في هذه الكارثة، فهل باتت القصة تجارة؟! بالتأكيد كانت العين ولا تزال على الأطفال في المناطقِ الخاضعة لسيطرةِ الجماعات الإرهابية، إذ إن المناطق التي تسيطر عليها الدولة السورية لا يمكن لهكذا أشياء أن تحدث بسهولة وربما ما حدثَ مع الطفلة «آية» التي ولدتها أمها رحمةُ الله عليها تحت الأنقاض، خير دليل عن الفراغ الذي نتحدث عنه، تحديداً عندما قامت عصابة مسلحة بالهجوم على المشفى لسرقة الطفلة، بعد توارد معلومات عن تلقيهم عروضاً مالية كبيرة من إحدى الجمعيات الغربية للحصول عليها، هذه الجمعيات وغيرها تجد اليوم الفرصة سانحة للدخول بهكذا مزادات، لكن هناك من سيسأل: وما المانع من قيام هكذا منظمات بتبني الأطفال طالما أن قانونهم المحلي يسمح بذلك؟

لا أحد يمكنه أن يمنع الجانب الإنساني أن يأخذ حيزه في مثل هكذا كوارث، لكن هذا الحيز الإنساني واسع ومتشعب وقد يكون واجهات لما هو أسوأ، ولكي تتضح الصورة أكثر دعونا مثلاً نعود إلى ما قبل العام ٢٠١٣، عندما كان السجال القانوني في فرنسا حامي الوطيس قبل إقرار قانون السماح بزواج الشواذ تحديداً في الفقرة التي تتحدث عن حق الزوجين الشاذين بالإنجاب أو بالتبني، كانت هناك معارضة شديدة لجهة السماح للزوجين بتبني طفل، كانت حجة المعارضين إنسانية وأخلاقية، فهذا الطفل وُلد لأبوين طبيعيين لكنك تأخذه من دون إرادته لتضعهُ في ظروف عائلية مغايرة للواقع الذي وُلدَ فيه، تضعهُ في طرَف خارج عن السِّياق الطبيعي لنموه الجسدي وميوله المستقبلية لدرجَة لا يعرف فيها أيهما والده أو والدته، هذا بالمبدأ الإنساني جريمة بَحق هذا الطفل، وعندما نتحدث عن جرائم بحق الطفولة فلأن وضع الحالة الإنسانية جانباً سيعود بنا إلى تقرير وضعه منتدى الطفل الإفريقي قبل صدور هذا القانون بعامين تحدثَ صراحةً عن أن حالات التبني من الدول الإفريقية ما هي إلا نوع من التجارة بعيداً عن رفاهية الطفل، محذراً من أن التبني يجب أن ينطلق أولاً من البحث عن عائلة للطفل في بلده الأصلي ودعمها إن كان الهدف فعلياً مصلحة الطفل، ليصل التقرير إلى النقطة الأهم وهي اتهام دور الأيتام بتلقي نحو ٣٠ ألف دولار عن كل طفل يتم تسهيل تبنيه!

ما تقدم هو أيضاً وصل برداء الجانب الإنساني مع التركيز هنا على فكرة الارتفاع غير المسبوق بزيجات الشواذ وهم بغالبيتهم العظمى بحاجَة لأطفال، بذات السياق فإن وصول الطفل إلى الجمعية التي تتبناه يعني أنها أصبحت مسؤولة عنه ولا يحق لأحد معارضة مصيره النهائي، بالمناسبة هذا الأمر يحدث حتى عندما تقرر محكمة العائلة في بعض الدول الأوروبية منع الأبوين من تربية طفلهما بسبب عدم الأهلية (تعاطي، إدمان، عنف ضد الأطفال) هنا تقوم الجمعية بمنح حقِ تربية الطفل لأول اسم في جدول الأسماء للراغبين بتبني أطفال بعد موافقتهم، هنا يصبح السؤال الأهم: كيف يمكننا ملء هذا الفراغ؟

دائماً ما تأخذنا هكذا أفكار إلى مواضعَ تبدو أشبهَ بحقل ألغام لأننا غالباً ما نصطدم عند مناقشتها بالكثير من العوائق التي يضعها أولئكَ الذين يظنون بأن الله لم يهد سواهم، على هذا الأساس لا يمكن لنا مجابهة سلاح التبني بالتبني لأن قوانينا لا تجيزه لكنها تجيز ما يسمونه «كفالة اليتيم»، بالسياق ذاته لن أسهبَ كثيراً في شرح الآية القرآنية التي حرمت كما يقول البعض موضوع التبني، لستُ عاجزاً لكن هذا ليس وقت السجال! بل ما سأقوله بسيط جداً: إن البحث عن الفرق بين توصيف كفالة اليتيم والتبني يقودنا إلى اختلاف واحد وهو أن التبني أجازَ (لم يفرض) قيام المتبني بمنح اسم العائلة للطفل، فيما كفالة اليتيم منعت هذا المنح، قد يبدو هذا المنع بظاهره منطقياً كما يردد من يتبناه خشيةَ ضياعَ النسب، ما قد يعني زواجَ الطفل من شقيقته أو ضياع حقوق الميراث عند غير مستحقيها، لكن هكذا توصيفات تبدو منغلقة على نفسها، من قالَ إنَ منح اسم العائلة للطفل سيضيع نسبه؟ فالقوانين الفرنسية مثلاً تجبر العائلة على الاحتفاظ بنسب الطفل الأصلي، أما ما يخشاه البعض بأن ضياع هذا النسب قد يؤدي لزواج الأخ من أخيها فهو تبرير مضحك والإجابة عنه بسيطة: وما أدرانا بأن مجهولي النسب الذين تم الاعتراف بهم لن يقعوا بهكذا محظور؟

على هذا الأساس لا يبدو الفارق كبيراً بين فكرتي التبني والكفالة، بل ولأكون صريحاً أكثر يبدو هذا الفارق هو من صنع النقل المتقدم على العقل، بهدف التمايز عن الآخر لا أكثر، هو كمن يتغنى بأن ديننا يحب «إن عملَ أحدٌ منا عملاً أن يتقنه»، حسناً ومن قال مثلاً: إن البقية يحبون إن عملَ أحد ما عملاً ألا يتقنه؟! لكن هذا الوقت ليس وقت تمايز، وليس وقت الدخول بوصفات فقهية هي أشبه بسراديب لانهايةَ لها، المشكلة عند البعض عدم القدرة على ابتكار حلول وسط، دائماً ما علينا أن نكون بسببهم إما بين تحجر تقديم النقل على العقل، أو فوضى الليبرالية الاجتماعية المتوحشة، هناك حلول وسط لأننا قادرون ببساطة أن نستخلصَ من إرثنا الاجتماعي والإنساني قانون تبنٍ خاص، لليبرالية خاصة، كما استخلصنا الديمقراطية التي تخصنا وتناسبنا، تجارب الآخرين ليست رجساً من عمل الشيطان، هذه نرجسية قاتلة، من دون أن ننسى بأن الفراغ يكبُر كما فراغات كثيرة كنا نغض الطرف عنها، حتى باتت كحبل مشنقة حول أعناقنا، أطفال سورية أمانة في أعناقنا فما بالك بمن لا ذنبَ لهم حتى أصبحوا من دون عائلة؟ بالوقت ذاته هناك عوائل كثيرة حرِمت من الأطفال لأسباب كثيرة، لا اعتراضَ على حكم الله، لكنهم حكماً سيكونون كما نتمنى تجاه هؤلاء الأيتام، القضية لا تحتاج فقط إلى تسهيل إجراءِ التبني بل تحتاج أيضاً إلى تقديم مساعدات لكل الراغبين بذلك عبرَ تشريعات حديثة تتوافق مع كل المتغيرات، وإلا سنشاهد أطفال سورية قَريباً على لوائح العوائل الراغبة بالتبني في الدول الأوروبية، عندها إياكم أن تلعنوا إنسانية الغرب المزيفة!

٩ من الإمارات و٣ من العراق ومثلها من ليبيا واثنتان من روسيا.. وقافلة مساعدات يمنية إلى اللاذقية.. وأخرى من جمهورية الشيشان الروسية إلى حماة.. وحزب اللّه يطلق الدفعة الثانية من «رحماء»

١٦٧ طائرة مساعدات حطت في سورية حتى أمس والقوافل البرية تواصل عبور الحدود

٣طائرات إماراتية وصلت أمس إلى مطار دمشق الدولي

طائرتان عراقيتان هما الثانية والثالثة إلى مطار اللاذقية الدولي تحملان مساعدات إغاثية للمتضررين

وصول ٧ شاحنات عبر معبر نصيب الحدودي محملة بالمواد الإغاثية مقدمة من الحكومة الأردنية (سانا)

موفق محمد - منذر عيد- وكالات

تواصل قدوم المساعدات المقدمة من الدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة، حيث حطت ١٧ طائرة في المطارات السورية ٩ منها إماراتية وثلاث عراقية ومثلها ليبية واثنتان روسيتان، حملت مئات الأطنان من المساعدات، ليصل بذلك عدد طائرات المساعدات الواصلة إلى البلاد منذ وقوع كارثة الزلزال حتى مساء أمس ١٦٧ طائرة، في حين استمرت قوافل المساعدات البرية بالقدوم إلى البلاد.

وفي التفاصيل فقد وصلت ثلاث طائرات عراقية إلى مطار اللاذقية الدولي تحملان مساعدات إغاثية للمتضررين من الزلزال، وذكر القائم بأعمال السفارة العراقية في دمشق ياسين شريف الحجيمي، أن الطائرات الثلاث حملت ما مجمله بين ٦٥ إلى ٧٥ طناً من المواد الإغاثية من البطانيات والفرش والمواد الغذائية والطبية.

وأشار الحجيمي في تصريح خاص لـ«الوطن» إلى أن وفداً عراقياً رفيع المستوى من وزارة الخارجية العراقية والأمانة العامة لمجلس الوزراء ورئيس هيئة الحج والعمرة «بمرتبة وزير» كانوا برفقة الطائرات، والتقوا بمحافظ اللاذقية عامر هلال ومدير صحة اللاذقية، وتم الاطلاع على احتياجات المحافظة ليتم عرضها لاحقاً على الحكومة العراقية وخلية الأزمة.

وذكر الحجيمي، أن فريقاً إعلامياً رافق الوفد وعمل على توثيق الأوضاع في اللاذقية، ومستوى الأضرار التي تعرضت لها المدينة جراء الزلزال.

كما دخلت قافلة مساعدات عراقية تتكون من ١٠٠ شاحنة وآلية عبر معبر البوكمال تحمل مواد إغاثية وغذائية وأدوية ومحروقات وسيارات إسعاف.

وفي السياق وصلت أمس ٩ طائرات إماراتية إلى مطارات اللاذقية ودمشق وحلب، محملة بالمساعدات الإغاثية لمتضرري الزلزال، وذكرت وكالة «سانا» أن طائرة إماراتية وصلت صباحا إلى مطار دمشق الدولي، تحمل ٨٧ طناً من المواد الغذائية والألبسة.

وأشارت إلى أنه وصلت إلى مطار اللاذقية الدولي طائرتان إماراتيتان، حيث وضح مدير المطار زياد الطويل أن الأولى تحمل على متنها ٢٦ طناً، والثانية ٣٨ طناً من المواد الغذائية والإغاثية، بهدف دعم المتضررين في المناطق المنكوبة جراء الزلزال، في حين وصلت مساء طائرة ثالثة من الإمارات إلى مطار اللاذقية تحمل ٥٠ طناً من المساعدات الغذائية.

كما وصلت شاحنتان محملتان بـ٥١ طناً من التمور إلى معبر نصيب الحدودي مقدمة من دولة الإمارات لتوزيعها في المحافظات المتضررة من الزلزال، في حين تسلمت الأمانة السورية للتنمية ١٨ طناً من الأدوية مقدمة من شركة الجديد للصناعات الدوائية في الأردن عبر معبر نصيب الحدودي.

كما وصلت طائرة مساعدات روسية إلى مطار دمشق الدولي تحوي ١٥ طناً مواد غذائية وألبسة، وطائرة روسية ثانية إلى مطار اللاذقية، على حين وصلت ثلاث طائرات من ليبيا اثنتان إلى اللاذقية وواحدة إلى دمشق.

وعلى خطٍّ موازٍ نقلت «سانا» عن وزارة الدفاع الروسية قولها في بيان لها أمس: إن «القوات الروسية المتواجدة في سورية قدمت أكثر من ٢,٥ طن من الأدوية، لمساعدة مستشفيات في مدينة حلب، حيث يتم علاج المصابين من الزلزال».

وكان وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو دعا القوات الروسية في سورية فور وقوع الزلزال إلى تقديم المساعدة لسورية في التعامل مع تداعيات الزلزال.

من جهته أكد محافظ حماة، محمود زنبوعه، أن مواقف روسيا الاتحادية قيادة وشعباً تجاه سورية مشرفة، وهي تجسد عمق العلاقات الأخوية بين البلدين.

وأوضح أن قافلة المساعدات الروسية التي استلمتها حماة، من جمهورية الشيشان، هي تعبير عن تلك العلاقات وتجسيد لتضامن الشعب الروسي والشيشاني مع السوريين ووقوفهما معه في هذه الكارثة التي ضربت العديد من مدنه وقراه.

ولفت المحافظ إلى أن سورية عموماً وأهالي حماة خصوصاً يحفظون لروسيا وللشيشان هذا الجميل ومساعدتهم في نكبتهم الكبيرة، التي تضررت فيها الآلاف من المنازل والأبنية وخزانات المياه.

من جانبه بيَّنَ رئيس الوفد الروسي، عثمان عثمانوف، أن هذه المساعدات مقدمة من جمهورية الشيشان وبتوجيه من الرئيس رمضان أحمد قاديروف، لمساعدة الشعب السوري على تخطي هذه الكارثة وآثارها، وهي مؤلفة من ١٥ شاحنة ٩ منها لمحافظة حماة، وهي محملة بالمواد الإغاثية والغذائية، ومولدات كهرباء وحليب أطفال.

وأوضح أن الشيشان برئاسة الرئيس قاديروف لن تتوانى عن تقديم أي مساعدة للشعب السوري والأسر المنكوبة والمتضررة من الزلزال، وهي كما كانت مع سورية في حربها ضد الإرهاب، هي معها اليوم في كارثة الزلزال.

في غضون ذلك وصلت عصر أمس قافلة إغاثية من الجالية اليمنية في سورية إلى محافظة اللاذقية دعماً للمتضررين من الزلزال المدمر، بعدما انطلقت صباحاً تحت «شعار من اليمن إلى الشام كلنا مقاومة» من أمام السفارة اليمنية بدمشق.

وتتكون القافلة من ست شاحنات تحتوي وتتضمن ٥٠٠ سلة غذائية و١٠٦٥ قطعة من المفروشات المتنوعة بينها أغطية ووسائد وأسرّة متنقلة وأكثر من ٥٠٠ صندوق دوائي ومستلزمات طبية و٧٦٠ قطعة من الملابس الشتوية.

وتأتي القافلة في إطار التضامن مع الشعب السوري وتأكيداً على أواصر العلاقة بين اليمن وسورية.

وقال السفير اليمني في سورية علي عبدالله صبري بتصريح للصحفيين بحضور «الوطن» قبيل انطلاق القافلة: إن القافلة الإغاثية تعد أقل واجب تجاه الشعب السوري الشقيق والحكومة السورية التي وقفت مع اليمن في مختلف المراحل والمحطات.

وأوضح، أن أبناء الجالية اليمنية في سورية ومن مختلف المحافظات شاركوا في جمع التبرعات المادية والعينية وكانوا إلى جوار إخوانهم السوريين في أثناء المراحل الأولى من عمليات الإنقاذ ومساعدة المنكوبين.

وإذ طالب السفير اليمني برفع الحصار والعقوبات الأميركية عن سورية، أشاد بالدول التي سارعت إلى إغاثة سورية ولا تزال.

من جهته، أعرب رئيس مجلس الجالية اليمنية في سورية محمد ناجي العولقي عن تقديره لجهود أبناء الجالية اليمنية في تحريك هذه القافلة الإغاثية، وقال: لقد شاطرنا إخواننا في سورية هذا المصاب الجلل وما نقوم به ليس إلا جهد المقل، لكن مع كثير من المحبة والتضامن مع الشعب السوري.

وأوضح العولقي، أن الجالية تعمل أيضاً على ترتيب قافلة ثانية من المقرر أن تنطلق إلى محافظة حلب خلال الأيام القادمة.

في غضون ذلك أطلق حزب الله في لبنان الدفعة الثانية من المساعدات الإنسانية والصحية والغذائية «رحماء» إلى سورية.

ونقلت قناة «الميادين» عن المدير العام للدفاع المدني في الهيئة الصحية الإسلامية، عدنان مقدّم أن «القافلة الثانية هي مساعدات شعبية وليست مخصصة من حزب الله فقط».

وأضاف مقدّم: إن «حزب الله قدَّم في هذه القافلة نحو ٥٠٠٠ حصة تموينية و٥٠٠٠ حصة مقدّمة، من الشعب اللبناني المقاوم للشعب السوري».

بدورها أعلنت الهيئة الخيرية الهاشمية الأردنية أمس عزمها تكثيف قوافل وطائرات الإغاثة إلى تركيا وسورية؛ لمساعدة البلدين على تحمل تبعات الزلزال.

ونقلت وكالة «الأناضول» عن الأمين العام للهيئة حسين الشبلي قوله: إن «الهيئة الهاشمية تعمل على تجهيز قافلتين بريتين بعدد ١٤ شاحنة إلى سورية بالإضافة إلى طائرة مساعدات إغاثية إلى تركيا، سيتم تسييرها يوم غد، حسب قوائم الاحتياجات الواردة من البلدين».

شاحنات محملة بالمواد الإغاثية مقدمة من الشعب اليمني الشقيق (خاص الوطن)

طائرة المساعدات الروسية التي وصلت إلى مطار دمشق الدولي أمس (سانا)

اليابان ستخصص مساعدات إضافية وبلغراد تنسق لإرسال شحنة

رئيسة وزراء صربيا تزور السفارة السورية معزية

رئيسة وزراء صربيا آنا برنابيتش خلال تقديمها واجب العزاء بضحايا الزلزال (عن الانترنت)

بينما بحث وزير الدولة الياباني لإدارة الكوارث تانيكويتشي مع القائم بأعمال السفارة السورية في طوكيو محمد نجيب إيلجي المساعدات الطارئة التي تم تقديمها من اليابان، والمساعدات التي سيتم تخصيصها لاحقاً لسورية لمواجهة تداعيات الزلزال، لفتت رئيسة وزراء جمهورية صربيا آنا برنابيتش إلى التنسيق على أعلى مستوى لإرسال شحنة مساعدات إلى سورية واجتماعها بهذا الصدد مع الرئيس الصربي الكسندرفوتشيتش.

وخلال زيارتها لمقر السفارة السورية في بلغراد، قدمت برنابيتش العزاء بضحايا الزلزال المدمر الذي تعرضت له سورية في الـ٦ من شباط الجاري، وذلك في كلمة دونتها في سجل التعازي بالسفارة، وفق ما ذكرت وكالة «سانا».

وأعربت برنابيتش في كلمتها عن تضامنها العميق مع الحكومة والشعب السوري في معالجة تداعيات الزلزال.

وأوضحت برنابيتش خلال لقائها مع السفير السوري في بلغراد باسم جمعان آغا بحضور كادر السفارة السورية في صربيا، أن بلادها تقف إلى جانب سورية في هذه المحنة، مشيرة إلى التنسيق على أعلى مستوى لإرسال شحنة مساعدات إلى سورية واجتماعها بهذا الصدد مع الرئيس الصربي الكسندرفوتشيتش.

وعرض آغا لرئيسة الوزراء الصربية تداعيات الزلزال الذي تعرضت له سورية، وحجم الأضرار التي طالت البشر والحجر، والجهود التي تبذلها الحكومة السورية لمواجهة آثار هذه الكارثة في ظل الإجراءات القسرية الأحادية الجانب المفروضة على سورية.

بموازاة ذلك، قدم تانيكويتشي التعازي بضحايا الزلزال المدمر الذي تعرضت له سورية، خلال زيارته السفارة السورية في طوكيو، وكتب كلمة في سجل التعازي.

وخلال لقاء تانيكويتشي مع إيلجي، تم استعراض آثار الزلزال المدمر الذي وقع في سورية، والأوضاع في المناطق المنكوبة بما في ذلك مخاطر التصدعات في الأبنية السكنية والبنى التحتية، وتم التطرق لتجربة اليابان في التعامل مع هذه الكوارث.

كما تمت مناقشة المساعدات الطارئة التي تم تقديمها من اليابان، والمساعدات التي سيتم تخصيصها لاحقاً لسورية لمواجهة تداعيات الزلزال.

وكالات

دعا في كلمة عن تداعيات الزلزال إلى الانتقال من معالجة سلبيات الظروف الطارئة إلى إضافة إيجابيات المعالجة الشاملة

الرئيس الأسد: ما سنواجهه على مدى أشهر وسنوات من تحديات خدمية واقتصادية واجتماعية لا يقل أهمية عما واجهناه خلال الأيام الأولى

- محبة الوطن وخدمته والدفاع عنه من قبل أي منا هو واجب لا يستدعي الشكر
- لم يعوض نقاط الضعف سوى الاستجابة العالية والسريعة من قبل المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد

الوطن

أكد الرئيس بشار الأسد، أن الوطن هو المنزل، وحمايتُه واجبٌ بغض النظر عن نوع وحجم التحدي، وبغض النظر عن الإمكانيات زادت أو نقصت، معتبراً أن ما تمكن مجتمعنا من القيام به بأفراده ومؤسساته لمواجهة تداعيات كارثة الزلزال الذي ضرب شمال غرب البلاد كان أكبر بكثير من الإمكانيات المتاحة.

وفي كلمة متلفزة عن تداعيات الزلزال الذي حدث في السادس من شباط الجاري وبثتها رئاسة الجمهورية، قال: إذا كانت الحرب قد استنزفت واستنفدت الكثير من الموارد الوطنية وأضعفت الإمكانيات لمواجهة المزيد من الأزمات فهي نفسها التي أعطت المجتمع السوري الخبرة والمقدرة على التحرك السريع والفعال في الساعات الأولى للزلزال.

وأوضح الرئيس الأسد، أنه لم يعوض نقاط الضعف سوى الاستجابة العالية والسريعة من قبل المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد متطوعين بأعمال الإنقاذ أو متبرعين بمساعدات عينية أو مالية مقيمين أو مغتربين حاولوا بكل الطرق كسر الحصار لإيصال أي مقدار ممكن لمساعدة إخوتهم المنكوبين.

وذكر أن المساعدات العاجلة التي وصلت من الدول الشقيقة والصديقة شكلت دعماً مهماً للجهود الوطنية في تخفيف آثار الزلزال وإنقاذ الكثير من المصابين.

واعتبرَ الرئيسَ الأسد، أن ما سنواجهه على مدى أشهر وسنوات من تحديات خدمية واقتصادية واجتماعية لا يقل أهمية عما واجهناه خلال الأيام الأولى وهو بحاجة للكثير من التفكير والحوار والتكافل والتنظيم، لدى مختلف القطاعات الوطنية.

وقال: قد يبدو المشهد معقداً وقد يكون من الصعب الفرز بين الأسباب المؤدية لكل مشكلة من المشكلات على حدة، لكنه يعطينا بالمقابل فرصةً لحل تلك المشكلات المتراكمة بشكل مترابط، وهذا يعني أن ننتقل من معالجة سلبيات الظروف الطارئة، إلى إضافة إيجابيات المعالجة الشاملة، معتبراً أن المهمَ هو امتلاكُ الرؤية المبنية على توافق وطني منطلق من حوار واسع.

وأشار الرئيس الأسد إلى أنه عندما تتعرض المجتمعات للزلازل بأنواعها، جيولوجيةً كانت، سياسية، عسكرية، ثقافيةً اجتماعية، أم غيرها من الهزات العنيفة، فلا بد لها أن تفقد شيئاً من استقرارها، لاهتزازِ ضوابطها المؤسسية والاجتماعية، مَن قوانينَ وأنظمة، ومن مفاهيمَ وأعراف وأخلاقيات وهذا يؤدي بدوره لظهور السلبيات الموجودة أساساً، لكنها كامنة أو محدودة بفعل تلك الضوابط.

واعتبر أن الحماس والاندفاع لمعالجة تلك المظاهر التي تطفو على السطح في الأزمات ضروري، شرط أن يرتكز على الحكمة والوعي وعلى الحقائق لا على المبالغات أو الأوهام، فلنبحث عن الحقيقة بدلاً من تسويق الشائعة.

وفيما يلي النص الكامل للكلمة:

أيها الإخوة المواطنون:

الوطن هو المنزل، وحمايتُه واجبٌ بغضّ النظر عن نوع وحجم التحدي، وبغضّ النظر عن الإمكانيات زادت أو نقصت، هذا ما كان منذ اللحظات الأولى للزلزال، هذا الشعور العميق والشامل تجاه الوطن البيت سورية، من قبل أبناء عائلته الواحدة أفراداً ومؤسسات، وهذه الهبةُ الهائلة لحماية وإنقاذ ومساعدة إخوتهم المكلومين في حلب واللاذقية وحماة لم يكن المشهد الوطني والإنساني غريباً عن أي منا وقد لمسناه بمفاصلِ متعددة خلال الحرب على سورية، لكنه كان أكثرَ شمولاً ووضوحاً، والأهم أنه كان أكثرَ بلاغة، لأنه أتى بعد اثني عشر عاماً من الحرب والحصار، مع ما رافقهما من موت وتخريب وقلة موارد على المستوى الوطني، لكن كل ذلك على قسوته لم يغير من جوهر شعورنا وتفكيرنا تجاه بعضنا بعضاً، وتجاه الوطن بأرضه وشعبه، بمفاهيمه وعاداته وتقاليده.

وإذا كانت هذه الحرب قد استنزفت واستنفدت الكثيرَ من الموارد الوطنية، وأضعفت الإمكانيات لمواجهة المزيد من الأزمات، فهي نفسُها التي أعطت المجتمع السوري الخبرة والمقدرة على التحرك السريع والفعال في الساعات الأولى للزلزال، فكان حجم تلك الكارثة والمهامِ المنوطة بنا جميعاً أكبرَ بكثير من الإمكانيات المتاحة، لكن ما تمكن مجتمعُنا من القيام به بأفراده ومؤسساته، كان أيضاً أكبرَ بكثير من الإمكانيات المتاحة، ليس بسبب الحرب والحصار فقط، وإنما لأن سورية لم تكن منطقة زلازلَ مدمرة على امتداد قرنين ونصف القرن، فلا المنشآت والأبنية، ولا المؤسسات والمعدات محضرةٌ للكوارث الطبيعية بأنواعها، ما جعل التحدي الأول من نوعه هو الأكبر بحجمه، ولم يعوض نقاط الضعف تلك سوى الاستجابةُ العالية والسريعة من قبل المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني والأفراد، متطوعين بأعمال الإنقاذ، أو متبرعين بمساعدات عينية أو مالية، مقيمين أو مغتربين، حاولوا بكل الطرق كسر الحصار لإيصال أي مقدار ممكن لمساعدة إخوتهم المنكوبين، إضافة إلى المساعدات العاجلة التي وصلت من الدول الشقيقة والصديقة، والتي شكلت دعماً مهماً للجهود الوطنية في تخفيف آثار الزلزال وإنقاذ الكثير من المصابين.

لكن ومن خلالِ تجاربِ الدَول الأخرى في هذا المجال، فإن للزلازل تداعيات عاجلةً وآجلةً، وما سنواجهه على مدى أشهر وسنوات من تحدياتٍ خدمية واقتصادية واجتماعية، لا يقل أهمية عما واجهناه خلال الأيام الأولى، وهو بحاجة للكثير من التفكير والحوار والتكافل والتنظيم لدى مختلف القطاعات الوطنية، ومن الضروري ألا ننظر إلى تلك التداعيات كحالة منعزلة مرتبطة بالزلزال حصراً، بل كحالة تراكميةٍ للحرب والتخريب الإرهابي، وللحصار بتأثيراته، وللزلزال مؤخراً، تُضاف إليها عوامل خلل تراكمت عبر عقود سابقة للحرب في القطاعات المختلفة.

امتلاكُ الرؤية

قد يبدو المشهد معقداً، وقد يكون من الصعب الفرز بين الأسباب المؤدية لكل مشكلة من المشكلات على حدة، لكنه يعطينا بالمقابل فرصةً لحل تلك المشكلات المتراكمة بشكل مترابط، وهذا يعني أن ننتقل من معالجة سلبيات الظروف الطارئة، إلى إضافة إيجابيات المعالجة الشاملة، وما يعنيه ذلك من تطوير وتقدم إلى الأمام، بدل الاكتفاء بالوقوف في المكان في مواجهة الأزمات، وهذا لا يمكن أن يحصلَ دفعة واحدة، بل كأولوياتٍ حسب توفر الإمكانيات وعلى مراحلَ زمنية، لكن المهمَ هو امتلاكُ الرؤية المبنية على توافق وطني منطلق من حوار واسع.

لكن حتى ذلك الحين يجب علينا متابعةُ التعامل مع تداعيات الزلزال حسب تسلسلها، فبعد تجاوز مرحلة الإنقاذ وتأمين مراكز الإيواء الطارئة وتأمين المستلزمات الأساسية من غذاء وكساء ودواء، وهذا الذي تمّ حتى الآن، فقد بدأت المؤسسات الحكومية المعنية بالعمل على توفير المساكن المؤقتة، ريثما يتم تأمينُ المساكنِ الدائمة في مرحلة لاحقة، وحاليّاً تتم دراسة تأسيس صندوق لدعمَ المتضررَين بهدف مساندتهم ريثماً يتمكنون من استعادة قدراتهم الحياتية بجوانبها المختلفة، وذلك بعد الانتهاء من إحصاء الأضرار، ووضعِ المعايير لتحديد المشمولين وأسس الدعم، كل ذلك بالتوازي مع العملَ السريع للجم التراجع الاقتصادي الذي يصيب عادة المناطق المنكوبة ويؤثر على الاقتصاد الوطني بشكلٍ عام، عبر إصدار التشريعات واتخاذ الإجراءات التي تخفف الأعباءَ الاقتصاديةَ عن أهلها وتسرّع دورة الاقتصاد فيها، والتي تم البدء بدراستها قبل عرضها من أجل النقاش واتخاذ القرارات المناسبة خلال الأيامِ القليلة القادمة، إضافة لعدد من الأفكار الأخرى المطروحة مؤخراً، والتي سيعلن عنها من قبل المؤسسات المعنية بعد أن تستوفي حقها من الدراسة والنقاش، ويثبت جدواها.

أيها الإخوة: عندما تتعرض المجتمعاتُ للزلازل بأنواعها، جيولوجيةً كانت، سياسية، عسكرية، ثقافيةً، اجتماعية، أم غيرها من الهزات العنيفة، فلا بد لها أن تفقد شيئاً مِن استقرارها، لاهتزاز ضوابطها المؤسسية والاجتماعية، مَن قوانينَ وأنظمة، ومن مفاهيمَ وأعراف وأخلاقيات، وهذا يؤدي بدوره لظهور السلبيات الموجودة أساساً، لكنها كامنة أو محدودة بفعل تلك الضوابط.

والحماس والاندفاع لمعالجة تلك المظاهر التي تطفو على السطح في الأزمات ضروري، شرط أن يرتكز على الحكمة والوعي، وعلى الحقائق لا على المبالغات أو الأوهام، فلنبحث عن الحقيقة بدلاً من تسويق الشائعة، التي إن طغت على مشاهد البطولة والتضحية والتفاني والتعاضد والاندفاع اللامحدود الذي شهدناه خلال الساعات والأيام التي تلت الزلزال، فإنها سترسل رسائل الإحباط لكل أولئك الذين صنعوا ذلك المشهد الوطني الإنساني المتميز والمذهل، وتسوّق لصورة مناقضة ومغايرة لتلك الصورة ناصعة البياض التي رسمناها لدى الآخرين.

الوطنية بأعمق معانيها

فهل من حدث، صغُر أو كبُر، قادر على محو صور البطولة لمؤسساتنا الوطنية المدنية والعسكرية، والمجتمع الأهلي، والأفراد المتطوعين خلال قيامهم بعمليات الإنقاذ كخلايا نحل على مدار الليل والنهار؟ وكانوا أصحابِ الفضل في كل ما أنجز، حملوا الوطن بآماله وآلامه بحماس ورضى وحب لا محدود وتضحية عظيمة، وكانوا هم الوطن بكل معّانيه الجميلة، وقيمه النبيلة؟ أم ذلك الاندفاعِ الشعبي العفوي لدعم المنكوبين بطوفان من الخير، حجب عنهم العوزَ والسؤال، ذلك الاندفاع الذي تساوى فيه ميسور يعطي بلا طلب، ومحتاجٍ يقتطع شيئاً من موارده وقوت يومه الذي بالكاد يكفيه وعائلته ليساعد منكوباً؟ فجسدوا لنا أنموذجاً حياً وحقيقياً لَلأخلاق بأنبل تجلياتها، والوطنية بأعمق معانيها، والإنسانية بأرقى صفاتها؟ وهل يمكن أن ننسى أولئك الذين استنفروا غيرة وحرصاً للدفاع عن الصورة الحقيقية لمجتمعنا في وسائل الإعلام والتواصل المختلفة، ولم يسمحوا للصورة المشوهة التي حاول البعض تسويقها، المساس بسمعتنا كمجتمع، للأخلاق فيه وللتعاضد والغيرية القيمة الأعلى على المستوى الفردي والجماعي؟ وغيرُ ذلك من قصص وحكايا وتفاصيل لا نهاية لها، وأشخاص وأبطالٍ، بواسل ومقاديم، هم للحاضر قدوات وللمستقبل منارات.

لكل أولئك، لكل من عمل على تخفيف المُصاب الأليم بما يستطيع مادياً ومعنوياً، بشيء أو بكلمة، مقيمين ومغتربين، لا نوجه الشكر، لأن محبة الوطن وخدمته والدفاع عنه من قبل أيٍ منا هو واجب لا يستدعي الشكر، بل نقول لهم، نفخر بكم ويفخر بكم الوطن.

شكر للأشقاء والأصدقاء

وفي خضم ألمنا وحزننا على الضحايا، وفخرنا بأبناء وطننا، لا يفوتنا تقديم الشكر لكل الدول التي وقفت معنا منذ الساعات الأولى للكارثة، من أشقاءَ عربٍ ومن أصدقاء، وكان لمساعداتهم العينية والميدانية الأثرُ الكبير في تعزيز قدراتنا لمواجهة الظروف الصعبة في الساعات الحرجة، وأخص بالذكر فرق الإنقاذ من مختلف الدول التي شاركت بفعالية، وبقيت تعمل حتى آخر لحظات الأمل بوجود شخص حي تحت الأنقاض، وشاركوا بعمليات الإنقاذ بتفانٍ وحماس زملاءهم من السوريين، وكانوا إخوةً حقيقيين، لهم نوجهً باسم كل سوري، تحية وشكراً وامتناناً.

إخوتي المواطنين، كلنا في هذا الوطن مسلمون ومسيحيون نؤمن بالله، والإيمان به يعني الإيمانَ بإرادته، وإرادته بالنسبة لنا قدر قد يأتينا بأشياء نحبها وأخرى نبغضُها، وإن لم نكن في موقع من يدركُ الحكمة الإلهيةَ من البلايا والنعم التي تصيبنا وأسبابها، فنحن بكل تأكيد في موقع تعلم الدروس وأخذ العبر منها، من حسنها وسيئها.

وأهم وأول ما نتعلمه من هذه التجربة القاسية وقد تمكنا مع بعضنا بعضاً بمختلف أطيافنا وقطاعاتَنا من التغلب على ظروفنا وقلة إمكانياتنا، هو الإيمانُ بقدراتنا الذاتية الكبيرة، والإيمانُ أن تعاضدَنا هو الذي يفعلها، وأن تشتتَنا هو الذي يخمدها.

فلنؤمن بالله، ولنؤمن بالوطن، ولنؤمن بالإرادة القادرة على صنع المعجزات عندما نمتلكها، لتبقى سورية عزيزةً بأبنائها، قوية بتاريخها، غنيةٍ بكرامتها، قادرة بإرادتها.

رحم الله فقداءنا، وشفى جرحانا، وحمى سورية وشعبها من كل مكروه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- في خضم ألمنا وحزننا على الضحايا وفخرنا بأبناء وطننا لا يفوتنا تقديم الشكر لكل الدول التي وقفت معنا من أشقاءَ ومن أصدقاء
- المؤسسات الحكومية المعنية بدأت بالعمل على توفير المساكنِ المؤقتة ريثما يتم تأمينُ المساكنِ الدائمةِ في مرحلة لاحقة وحالياً تتم دراسة تأسيس صندوق لدعم المتضررين
- أول ما نتعلمه من هذه التجرِبة هو الإيمان بقدراتنا الذاتية وأن تعاضدَنا هو الذي يفعّلها وأن تشتتنا هو الذي يخمدها
- المهم هو امتلاكُ الرؤية المبنية على توافق وطني منطلق من حوار واسع